Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 39 مارس 2026
ردمد: 3014-6266

الخطابة الدينية في العصر الأيوبي وأثرها في التعبئة الجهادية: القاضي محي الدين بن الزكي وخطبة الفتح أنموذجا (دراسة أدبية تحليلية)

آمال المبروك حسن سمهود

قسم اللغة العربية – كلية التربية زوارة – جامعة الزاوية

amal.samhod@gmail.com

تاريخ الاستلام:2026/01/06 –تاريخ المراجعة: 2026/01/31– تاريخ القبول: 2026/02/14– تاريخ للنشر:2026/03/11

المستخلص

يسعى هذا البحث إلى استجلاء الدور المحوري الذي أداه المنبر كأداة إعلامية وإستراتيجية في إدارة الصراع الوجودي واسترداد المقدسات خلال العصر الأيوبي، متمثلا في دراسة (الخطابة الدينية وأثرها في التعبئة الجهادية: القاضي محي الدين بن الزكي وخطبة الفتح أنموذجا)، حيث هدف البحث إلى تأصيل الدور الوظيفي للخطابة كآلية استنهاضية، وتحليل الخصائص الأسلوبية والجمالية لنتاج ابن الزكي مع تفنيد دعاوى الجمود الأدبي، إضافة إلى رصد آليات التناص في صهر المرجعيات الدينية داخل الخطاب، وقد اعتمد البحث في منهجيته على المنهج الوصفي التحليلي لتفكيك بنية النصوص، والمنهج التاريخي لربط الخطاب بسياقه الميداني، والمنهج الأسلوبي لاستنطاق المستويات الصوتية والدلالية، وصولا إلى المقاربة التداولية الحديثة لتحليل القوة الإنجازية للكلمة، وقد خلص البحث إلى أن الخطابة الأيوبية تجاوزت الوعظ التقليدي لتصبح مؤسسة إعلامية متكاملة شريكة في النصر، وأن المحسنات البديعية لدى ابن الزكي كانت هندسة صوتية واعية لخدمة المقصد التعبوي وليست ترفا لفظيا، كما أثبت البحث قدرة الخطيب على تحقيق التناص الامتصاصي للقرآن الكريم مما أضفى قدسية على حدث الفتح، وأكدت النتائج نجاح ابن الزكي في توظيف تداولية الخطاب وشعرية المكان محولا معالم القدس من حيز جغرافي صامت إلى رموز حية صانعة للهوية والكرامة، واوصي بضرورة إعادة قراءة نثر العصور الوسيطة وفق مناهج نقدية حديثة تنصف جمالياتها الوظيفية وتكشف عن عبقرية مبدعيها.

الكلمات المفتتاحية: الخطابة الأيوبية، العصر الأيوبي، التعبئة الجهادية، بن الزكي، خطبة الفتح.

Abstract

This research seeks to elucidate the pivotal role of the Minbar (pulpit) as a strategic media tool in managing the existential conflict and reclaiming sanctities during the Ayyubid era. Titled Religious Rhetoric in the Ayyubid Era and its Impact on Jihadist Mobilization: Judge Muhyi al-Din ibn al-Zaki and the Conquest Sermon as a Model (An Analytical Literary Study), the study aims to establish the functional role of rhetoric as a restorative mechanism. It analyzes the stylistic and aesthetic characteristics of Ibn al-Zaki's work while refuting claims of literary stagnation during that period. Furthermore, it examines the mechanisms of intertextuality in fusing religious references within the discourse. The research employs an integrated methodological approach, combining descriptive-analytical methods to deconstruct textual structures, the historical method to contextualize the discourse within its field, and the stylistic method to investigate phonetic and semantic levels, leading to a modern pragmatic approach to analyze the performative power of the word. The study yields several significant results, most notably: that Ayyubid rhetoric transcended traditional preaching to become an integrated media institution sharing in the victory; and that Ibn al-Zaki’s rhetorical embellishments were a conscious acoustic engineering serving mobilization purposes rather than mere verbal luxury.

The research also demonstrates the orator's ability to achieve absorptive intertextuality with the Holy Qur'an, bestowing sanctity upon the event of the conquest. The results confirm Ibn al-Zaki's success in employing discourse pragmatics and the poetics of space, transforming the landmarks of Jerusalem from silent geographical spaces into living symbols that shape identity and dignity. Finally, the study recommends the necessity of re-reading medieval prose according to modern critical approaches that do justice to its functional aesthetics and reveal the genius of its creators.

مقدمة

تمثل الدولة الأيوبية في تاريخ الأمة الإسلامية نقطة تحول استثنائية، لم تكن مجرد استردادٍ للأرض أو انتصارٍ عسكري عابر، بل كانت مشروعا نهضويا شاملا أعاد للأمة هويتها الروحية وكيانها السياسي. وفي خضم هذا الحراك الجهادي العظيم، لم يكن السيف وحده هو البطل في الميدان، بل سانده المنبر ببيانٍ يأخذ بالألباب، فكانت الخطابة الدينية هي القوة الناعمة التي شحذت العزائم، ورصت الصفوف، وحولت القضايا المصيرية من أروقة السياسة إلى وجدان العامة.

لقد خرجت الخطابة في العصر الأيوبي من إطارها التقليدي المعتمد على الوعظ المحض والتزهيد في الدنيا، لتصبح أداة تعبئة جهادية واعية. فامتزج فيها النص الشرعي بالواقع السياسي، وصار الخطيب منظرا للمرحلة، ومحفزا للهمم، ومبشرا بالنصر. ومن هنا، يبرز القاضي محيي الدين بن الزكي كأحد أعظم مآذن هذا العصر بيانا، إذ لم يكن مجرد خطيبٍ مفوه، بل كان صوت الفتح الذي اختاره القدر ليصدح بأول خطبة جمعة في المسجد الأقصى بعد قرابة قرن من التدنيس والاحتلال.

يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على هذا الفن النثري في مرحلة تاريخية حرجة. وتكمن إشكالية البحث في محاولة الكشف عن السر الكامن في لغة ابن الزكي، تلك اللغة التي زاوجت بين الصناعة البديعية التي اتسم بها العصر، وبين الحرارة الإيمانية التي تقتضيها لحظة النصر، وكيف استطاع الخطيب توظيف المحسنات اللفظية كالسجع والازدواج لا كزينة متكلفة، بل كإيقاع حماسي يخدم المقصد التعبوي والشرعي.

إن البحث يسعى من خلال المنهج الوصفي التحليلي إلى دحض المقولات التي تصم أدب تلك الفترة بالانحطاط أو الإغراق في الشكل على حساب المضمون، مبرهنا على أن البلاغة المنبرية عند ابن الزكي كانت وسيلة إقناع وتأثير رفيعة المستوى، استطاعت أن توثق للحظة تاريخية مفصلية بأسلوب أدبي ظل عصيا على النسيان.

يتناول هذا البحث في مبحثه الاول سياقات الخطابة الدينية ومضامينها في العصر الأيوبي، وفي مبحثه الثاني يركز على الخصائص الفنية والأدبية التي ميزت هذا الفن، اما في مبحثه الثالث فسيقدم دراسة تطبيقية تحليلية لنماذج من خطب ابن الزكي، وفي مقدمتها خطبة فتح القدس الشهيرة، لاستجلاء مكامن القوة والجمال فيها.

مشكلة البحث:

تشكل إشكالية البحث في المفارقة النقدية حول طبيعة الخطابة الدينية في العصر الأيوبي، فبينما يصفها بعض المؤرخين والأدباء بأنها دخلت طور الجمود والانحطاط بسبب الإغراق في الزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية، نجدها في الواقع الأيوبي قد آدت دورا حيويا ومصيرا في التعبئة الجهادية واستنهاض الأمة. وتكمن المشكلة في محاولة الكشف عن كيفية تحويل القاضي محي الدين بن الزكي لتلك الصناعة الأدبية من مجرد زينة لفظية إلى أداة تأثير سياسي وديني واجتماعي قوية، ومدى قدرة لغة الخطاب الديني آنذاك على الموازنة بين جماليات الشكل وخطورة المضمون في لحظة تاريخية فارقة كفتح بيت المقدس، وبناء على المشكلة المطروحة، يسعى البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. **إلى أي مدى استطاعت الخطابة الدينية في العصر الأيوبي تجاوز وظيفة الوعظ التقليدي لتصبح أداة إستراتيجية في مشروع التعبئة والتحرير؟**
2. **كيف وظف ابن الزكي المحسنات البديعية (كالسجع والازدواج) في خطبته لخدمة الغرض التأثيري، وهل كانت هذه الزخرفة عائقا أم رافدا لعمق الموعظة وقوة الحجة؟**

3. **ما الآليات الجمالية والتناصية التي اعتمد عليها ابن الزكي في صهر النص القرآني داخل خطابه الأدبي ليمنح حدث الفتح صبغة القدسية والشرعية المطلقة؟**
4. **ما ملامح بلاغة المنبر عند ابن الزكي التي جعلت من خطبته وثيقة أدبية خالدة تتجاوز حدود زمانها ومكانها لتدرس كأنموذج للفتح الإسلامي عبر العصور؟**

اهمية البحث

تنبثق أهمية البحث من سعيه الحثيث نحو إعادة قراءة أدب العصور المتأخرة برؤية نقدية منصفة، حيث يهدف إلى تصحيح المسار الفكري الذي وصم النثر الأيوبي بالضعف أو الانحطاط، وذلك عبر إثبات أن الزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية لم تكن ترفا لغويا بقدر ما كانت ضرورة أسلوبية تقتضيها بلاغة المنبر والموقف آنذاك، كما يسعى البحث إلى سد ثغرة واضحة في الدراسات الأدبية من خلال تقديم تحليل يربط بين البناء الفني والأثر الجهادي لخطبة ابن الزكي، وهو جانب لم ينل حظه الكافي من البحث التحليلي المعمق رغم شهرة النص تاريخيا، وتتجلى القيمة التوثيقية للبحث في رصد التحول الجوهري للمنبر الذي صار في العصر الأيوبي مؤسسة إعلامية متكاملة وشريكا في النصر العسكري تحت رعاية صلاح الدين، مبرزا في الوقت ذاته عبقرية شخصية الخطيب القاضي التي جسدها ابن الزكي بجمعه الفريد بين صرامة الفقه وأناقة الأدب، ويكتسب البحث أهمية موضوعية بالغة في كونه تحلل أدب التحرير ويكشف عن الآليات البلاغية التي وظفها الخطيب لاستنهاض الهمم وتعبئة الوجدان الشعبي ضد المخاطر الخارجية، مما يسهم بفاعلية في نقل الأمة من حالة الاستلاب والتبعية التي دامت قرابة قرن من الزمان إلى فضاء الاسترداد والسيادة والاعتزاز بالهوية الإسلامية.

أهداف البحث:

1. تتبع تطور الخطابة الدينية في العصر الأيوبي والكشف عن تحولها من الوعظ التقليدي إلى خطاب تعبوي ساهم بشكل مباشر في دعم حركة الجهاد وتحرير المقدسات.
2. استجلاء الخصائص الأسلوبية في خطب القاضي محي الدين بن الزكي، وتفنيد دعاوى الجمود الأدبي عبر إثبات قدرة المحسنات البديعية على إحداث الأثر النفسي والإقناعي لدى المتلقي.
3. تحليل آليات توظيف النص القرآني والسنة النبوية في خطبة الفتح، وبيان كيف استطاع الخطيب صهر هذه المرجعيات الدينية في سياق أدبي يمنح الحدث التاريخي شرعية وقدسية.
4. كشف مدى انعكاس التحولات السياسية والاجتماعية للعصر الأيوبي على لغة الخطابة، وبيان دور الخطيب ك وسيط ناجح بين طموحات السلطة (صلاح الدين) وعاطفة الجماهير.

حدود البحث

تتحدد معالم البحث ضمن أطر زمنية ومكانية وموضوعية دقيقة تخدم غرض الترقية العلمية، حيث يقتصر الحد الزماني على العصر الأيوبي، وتحديدا في فترة الاسترداد وفتح بيت المقدس خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، ويتعين الحد المكاني في جغرافيا الشام والقدس بوصفها بؤرة الصراع ومنبر النصر، بينما ينحصر الحد الموضوعي في دراسة الخطابة الدينية مع التركيز حصريا على نتاج القاضي محيي الدين بن الزكي، وبالأخص خطبة فتح القدس الشهيرة، وذلك لاستقصاء أبعادها الأدبية والجمالية وأثرها في التعبئة الجهادية، مما يخرج عن نطاق البحث أي فنون نثرية أخرى أو خطب من عصور سابقة أو لاحقة.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي قاربت الأدب الأيوبي، ومن أبرزها دراسة (سلام) (1) التي هدفت لتوصيف الحياة الأدبية بشتى فنونها متبعة المنهج التاريخي الوصفي، وخلصت إلى أن الأدب كان مرآة للتحولات المذهبية والسياسية، ودراسة (شوقي) (2) التي

ركزت على الخصائص الفنية لنثر وشعر دول الشام ومصر متبعة المنهج الفني التحليلي، وانتهت إلى إبراز غلبة الزخرفة اللفظية كسمة أسلوبية عامة، وكذلك دراسة (عبد المهدي) (3) التي استقصت أثر الحروب الصليبية في توجيه النتاج الأدبي بدمشق متبعة المنهج التاريخي، وأثبتت دور المدارس في تخريج طبقة الأدباء الفقهاء، ودراسة (بدوي) (4) التي بحثت في القيم الجهادية داخل النصوص الأدبية متبعة المنهج الموضوعي، وكشفت عن عمق الارتباط بين العقيدة والبيان، إضافة إلى دراسة (الشيخ) (5) التي تتبعت تطور فن الخطابة وتغير وظيفتها متبعة المنهج الوصفي، وخلصت إلى تحول الخطيب لسانا ناطقا باسم السلطة، وأخيرا دراسة (اللهيبي) (6) التي حللت البناء الفني للخطابة في العصور الوسيطة متبعة المنهج الأسلوبي، وأكدت على بلاغة التلقي وأثر الجرس الموسيقي في الجماهير، ويأتي البحث الراهن ليتقاطع مع هذه الجهود ويتجاوزها بتركيزه النوعي على خطبة الفتح لابن الزكي كأنموذج تعبوي إجرائي يجمع بين جماليات النص ووظيفته السياسية، محاولة سد الفجوة البحثية المتمثلة في ندرة الدراسات التي تزاوج بين التحليل الأسلوبي الدقيق (السجع والتناص) وبين الأثر التعبوي الميداني في لحظة تاريخية مفصلية.

منهجية البحث وأدواته

لتحقيق أهداف البحث واستنطاق النصوص الخطابية واستجلاء مكنوناتها الجمالية، يعتمد هذه البحث على مجموعة من المناهج العلمية، وفي مقدمتها المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المحرك الأساسي لرصد الظواهر الخطابية في العصر الأيوبي وتفكيك بنية نصوص ابن الزكي اللغوية، مع دراسة العلاقة الجدلية بين اللفظ والمعنى وكيفية بناء الجمل لتحقيق غرض التأثير، ويستند البحث في إطاره المرجعي إلى المنهج التاريخي لفهم سياق النص وربطه بالأحداث العسكرية والسياسية الكبرى كمعركة حطين وفتح القدس، فضلا عن استقصاء الظروف المذهبية والدوافع التي جعلت السلطة الأيوبية تولي اهتماما خاصا للمنبر كأداة إعلامية، كما يوظف المنهج الأسلوبي في المباحث التطبيقية لتحليل بلاغة المنبر عبر رصد المستويات الصوتية من سجع وازدواج، والمعجمية من خلال تحليل دلالات ألفاظ النصر والتقديس، والتصويرية عبر رصد الاستعارات والكنايات الموظفة في شحذ العاطفة الجهادية، ولتحقيق هذه الغايات، اعتمد البحث على رافدين من الأدوات، أولهما المصادر التاريخية الأصيلة ككتب ابن شداد والعماد الأصفهاني لاستقصاء لحظة إلقاء الخطبة وأثرها، وثانيهما المراجع الأدبية والنقدية الحديثة وكتب البلاغة العربية القديمة لتحليل آليات السجع والاقتباس، وبذلك تسعى الباحثة عبر هذه المنهجية المتكاملة إلى بيان كيف تحولت الكلمة في يد ابن الزكي إلى قوة تعبوية توازي قوة السيف في ميدان القتال.

المبحث الأول: سياقات الخطابة الدينية في العصر الأيوبي وأبعادها الجهادية

تمهيد:

لم تكن الخطابة في العصر الأيوبي مجرد فنٍ قوليٍ يمارس في أيام الجمع والأعياد، بل كانت المؤسسة الإعلامية الأقوى التي أدارت الصراع الوجودي بين الشرق الإسلامي والغرب الصليبي. لقد ولدت الخطابة الأيوبية من رحم الأزمات، فجاءت مزيجا فريدا بين القداسة الدينية والضرورة السياسية. وفي هذا المبحث، يسلط الضوء على الظروف الموضوعية والذاتية التي أعادت تشكيل وجه الخطابة، محولة إياها من الوعظ الروحي الفردي إلى التعبئة الجماعية الشاملة.

أولا: أثر التحول المذهبي (السني) في تنشيط المنبر

عندما تسلم صلاح الدين الأيوبي مقاليد الحكم، واجه تحديا مزدوجا: الأول داخلي يتمثل في ضرورة توحيد الجبهة العقائدية، والثاني خارجي يتمثل في الخطر الصليبي. كان المنبر هو الأداة الكبرى لتحقيق هذا الانتقال من الفكر الفاطمي إلى المذهب السني.

1. لقد اشتغل الخطباء الأيوبيون على ترسيخ مفاهيم أهل السنة والجماعة، مع التركيز على مبدأ طاعة ولي الأمر المرابط في ثغور المسلمين. هذا التحول لم يكن قسريا بقدر ما كان إقناعيا عبر المنبر، حيث استخدمت الخطابة لتفنيد المذاهب المعارضة وتوحيد الناس حول العقيدة الجهادية.
2. في هذا العصر، استعاد الجامع الأموي في دمشق وجامع عمرو بن العاص في القاهرة بريقهما كمراكز للقرار السياسي. لم يعد الخطيب يكتفي بالحديث عن عذاب القبر أو فضل الصيام، بل صار يتحدث عن وحدة الأمة ووجوب نصرة السلطان، مما أدى إلى حراك ديني كثيف جعل من صلاة الجمعة مؤتمرا أسبوعيا لشحذ الإرادة العامة.
3. وكان الخطباء يركزون على إثبات شرعية الجهاد ضد الفرنجة، مستخدمين الفقه السني الذي يرى في استرداد بيت المقدس فرض عين عند اعتداء العدو، وهو ما أعطى الخطابة زخما معرفيا وعاطفيا لا نظير له. (7)

ثانيا: الخطابة كأداة إعلامية في مواجهة الحملات الصليبية

يجمع المؤرخون على أن الخطابة الأيوبية كانت سلاحا معنويا يتقدم الجيوش. ويمكن تقسيم الدور الإعلامي للخطابة في مواجهة الصليبيين إلى ثلاث مستويات:

1- نجح الخطباء في رسم صورة ذهنية للغزاة الصليبيين بوصفهم منتهكين للمقدسات وليسوا مجرد محاربين. هذا التوصيف البلاغي استنهض الغيرة الدينية في أقصى بلاد الإسلام، مما جعل المتطوعين يفدون من كل حدب وصوب للانضمام لجيش صلاح الدين.

2- نشطت في هذا العصر خطب الفضائل، حيث استدعى الخطباء تاريخ الأنبياء في بيت المقدس، وقصة الإسراء والمعراج، مما خلق ارتباطا وجدانيا عميقا بين الفرد المسلم وبين جغرافيا الشام. صارت القدس في الخطب عروس المدن التي يجب فداؤها بالأرواح، وتحول المنبر من الوعظ الأخلاقي إلى الاستنهاض القومي والديني.

3- لم يكن المنبر خشبيا دوما، بل كان صهوة جواد أو تلة مرتفعة في ساحة المعركة. كان الخطباء المرافقون للجيش، مثل العماد الأصفهاني وابن شداد، يلقون خطب الحث التي تتغنى بالشهادة والجنة، مما كان له أثر السحر في ثبات الجنود خلال معركة حطين وما تلاها من فتوحات. *(انظر: ضيف* (8)

ثالثا: دور المدارس الأيوبية في تخريج طبقة الخطباء المجاهدين

لم يكن الخطيب الأيوبي مجرد رجل دين ذي صوت جهوري، بل كان مثقفا عضويا يتخرج من مؤسسات أكاديمية رصينة أسسها الأيوبيون لتكون حصونا للفكر واللغة، حيث

1. أنشأ الأيوبيون المدارس الصلاحية والناصرية، واشترطوا فيمن يتصدر للخطابة أن يكون متبحرا في علوم اللغة والبلاغة. هذا التدريب الأكاديمي هو الذي أنتج لنا أسلوب النثر الفني الراقي، حيث صار الخطيب قادرا على صياغة جمل مسجوعة موزونة تؤثر في السامع وتستقر في ذهنه.
2. الخطباء الذين تخرجوا من هذه المدارس كانوا يمثلون نخبة المجتمع، وكثير منهم تولى القضاء والوزارة، مثل القاضي الفاضل. هذا الثقل الاجتماعي أعطى لكلماتهم قوة قانونية وتاريخية، فصار الناس ينظرون للخطبة بوصفها بيانا رسميا للدولة مغلفا بقدسية الدين، وفي هذه المدارس، تطور ما يمكن تسميته بـ فقه النصر، حيث دمجت البلاغة العربية القديمة (مثل أساليب الحجاج والإقناع) بالمقاصد الجهادية، مما أنتج طبقة من الخطباء المجاهدين الذين يقاتلون بالقلم واللسان كما يقاتلون بالسيف. (9)

رابعا: التحول من الوعظ التزهيدي إلى الخطاب السياسي

كانت الخطابة قبل العصر الأيوبي غارقة في القصص والمواعظ التي تدعو لترك الدنيا، لكن تحت ضغط الحروب الصليبية، حدث تحول بنيوي حيث صار الخطيب يتناول قضايا الغلاء، الاحتكار، التعاون العسكري، وجمع التبرعات للجيش. وأصبح الدعاء للسلطان في ختام الخطبة ليس مجرد بروتوكول، بل هو بيعة سياسية وتأكيد على شرعية القيادة الموحدة في وجه العدو. هذا الربط بين الدين والسياسة جعل من الخطابة المحرك الأول للرأي العام في العصر الأيوبي (10)

المبحث الثاني: التكوين العلمي والأدبي للقاضي محي الدين بن الزكي

تمهيد:

لم تكن صدفة تاريخية أن يرتقي القاضي محي الدين بن الزكي منبر المسجد الأقصى في اللحظة التي استردت فيها الأمة كرامتها، بل كانت محصلة لتكوين علمي وأدبي استثنائي، صهر بين فقه القضاء وبلاغة المنبر. إن دراسة شخصية ابن الزكي تعني دراسة النموذج المثالي للمثقف الأيوبي الذي جمع بين التمكن الشرعي والجزالة الأدبية، وهو ما جعله الخيار الأول للسلطان صلاح الدين في أدق اللحظات التاريخية حساسية.

أولا: النشأة في بيئة دمشقية قضائية وأثرها في رصانة لغته

ولد محي الدين بن الزكي في أسرة آل الزكي التي كانت تعد من أعرق بيوتات العلم والقضاء في دمشق. هذه النشأة لم تكن مجرد تربية عائلية، بل كانت مدرسة خاصة شكلت ملامح لغته وشخصيته حيث نشأ ابن الزكي في كنف والده القاضي زكي الدين، الذي كان من كبار علماء عصره. هذا البيت الذي كان يعج بالمناظرات الفقهية واللغوية أورثه ملكة لغوية فطرية، وجعل من لغته لغة قوية تخلو من الضعف أو الركاكة، وتتسم بـ رصانة الفقهاء وأناقة الأدباء وقد عاصر ابن الزكي دمشق في أوج ازدهارها تحت حكم النوريين ثم الأيوبيين، حيث كانت تموج بالعلماء والنازحين من بلاد الشرق والغرب. هذا التنوع الثقافي أكسبه قدرة على فهم سيكولوجية الجمهور المتنوع، مما انعكس لاحقا على أسلوبه الخطابي الذي كان يخاطب العقل الفقهي والعاطفة العامة في آن واحد، وان تكوين القاضي يتطلب دقة في اختيار الألفاظ، وهذا ما نلاحظه في خطبه، فكل كلمة موضوعة بميزان، تماما كالأحكام القضائية، مما منح نثره هيبة وجلالا، وجنبه السقوط في الزخرفة الفارغة من المعنى. *(انظر: ابن خلكان.*(11)

ثانيا: العلاقة بين السلطة السياسية (صلاح الدين) والسلطة الدينية (ابن الزكي)

مثلت العلاقة بين السلطان صلاح الدين والقاضي ابن الزكي نموذجا للتلاحم بين السيف والقلم. لم تكن علاقة تبعية، بل كانت علاقة تكامل عضوي لخدمة المشروع التحريري حيث لم يختبر صلاح الدين شجاعة ابن الزكي في الميدان فحسب، بل اختبر بلاغته وقدرته على الإقناع. وعندما فتحت القدس، تسابق الخطباء لنيل شرف ارتقاء منبر الأقصى، لكن صلاح الدين انحاز لابن الزكي، لأنه أدرك أن اللحظة تحتاج لخطيب يمتلك شرعية القاضي وروح المجاهد زكان ابن الزكي يدرك مرامي صلاح الدين السياسية، فجاء خطابه صدى لطموحات السلطان في توحيد كلمة المسلمين. لقد وظف ابن الزكي فصاحته ليؤكد أن النصر ليس لشخص صلاح الدين وحده، بل هو فتح إلهي استحقته الأمة بصبرها وجهادها، مما عزز الولاء الشعبي للسلطة الأيوبية، وبفضل هذا القرب، نال ابن الزكي صلاحيات واسعة في القضاء والتدريس، مما مكنه من بث روحه العلمية في الأجيال الناشئة، وتحويل المنبر إلى جسر تواصل دائم بين القيادة السياسية والقاعدة الشعبية (12)

ثالثا: مكانة ابن الزكي العلمية والأدبية في عصر الديوان والمنبر

عاش ابن الزكي في عصر اشتدت فيه المنافسة الأدبية بين كبار الكتاب (أصحاب الدواوين) والخطباء (أصحاب المنابر). وقد استطاع أن يحجز لنفسه مكانا عليا في الفنين وقد تميز ابن الزكي بأنه لم يغرق في جفاف الكتب الفقهية، ولم ينجرف وراء الخلاعة الأدبية، بل خلق منطقة وسطى تسمى النثر القوي. كان ينظر إليه كمرجع في المذهب الشافعي، وفي الوقت

نفسه كان كبار الشعراء والكتاب يهابون فصاحته وسرعة بديهته، وتعد خطبته في الأقصى (التي ستحلل في المبحث القادم) هي الذروة التي توجت مكانته الأدبية. لقد أثبت فيها أنه سيد المحاورات العظيمة، حيث استخدم السجع المتوازن الذي يطرب الأذن ويحرك المشاعر، دون أن يفقد النص وقاره الديني، وقد ذكره العماد الأصفهاني والقاضي الفاضل (وهما قامات أدبية كبرى) بالتبجيل، واعتبروا خطبته مرجعا يحتذى به في فن الخطابة والتحميدات. هذه المكانة جعلت من نصوصه مادة تعليمية في المدارس الأيوبية اللاحقة، مما أكد خلود شخصيته كأنموذج لخطيب الفتح (13)

المبحث الثالث: بنية الخطاب الأدبي عند ابن الزكي (دراسة أسلوبية جمالية)

تمهيد:

إن القيمة الفنية لخطابة ابن الزكي تكمن في قدرتها على المزاوجة بين هيبة الموقف وجمال اللفظ. فالمتلقي في المسجد الأقصى لم يكن يحتاج إلى وعظ جاف، بل إلى بيان يهز الوجدان ويوازي عظمة الحدث. وسنحاول في هذا المبحث استجلاء الأدوات الأسلوبية التي جعلت من خطبة الفتح نصا عابرا للزمان.

اولا: الإيقاع الصوتي (تحليل السجع والازدواج كأدوات للتأثير الحماسي)

اتهم النثر الأيوبي بالإغراق في السجع، ولكن عند تحليل خطبة ابن الزكي، نجد أن السجع والازدواج لم يكونا غاية في ذاتهما، بل كانا منظما إيقاعيا للحالة النفسية للجمهور، حيث استخدم ابن الزكي السجع القصير والمتلاحق لخلق جرس موسيقي يشبه ضربات الطبول في الميدان. ففي قوله: *مصدق الأمور بأمره، ومعدوم النعم بشكره، ومستدرج الكفار بمكره*، نلاحظ توافق الفواصل الذي يعطي إحساسا بالحسم واليقين. هذا الإيقاع ليس تكلفا، بل هو بلاغة منبرية تهدف لشد انتباه السامع ومنع تشتته، وبرع ابن الزكي في تقنية الازدواج (تساوي الجمل في الطول والوزن دون توافق القافية أحيانا)، مما منح خطابه وقارا وهدوءا يتناسب مع قدسية المكان. هذا التوازن يحدث نوعا من الاستقرار النفسي لدى المستمع بعد صخب المعارك، وكأن اللغة تعيد ترتيب الفوضى التي خلفها الاحتلال.، وان السجع هنا يعمل كخزان طاقة، فالجمل المسجوعة أسهل في الحفظ والترديد، مما جعل عبارات الخطبة تتحول إلى شعارات يرددها الناس في أزقة القدس ودمشق، وبذلك تحول الفن الأدبي إلى وسيلة لترسيخ الذاكرة الجمعية للنصر (14)

ثانيا: القاموس اللغوي (دراسة دلالات الألفاظ: النصر، القداسة، التطهير)

تنم لغة ابن الزكي عن ذكاء لغوي حاد في اختيار المفردات التي تشكل الخريطة الذهنية للفتح. ويمكن تصنيف معجمه اللغوي إلى ثلاث دلالات كبرى وهي

دلالة النصر والتمكين حيث استخدم ألفاظا مثل (الفتح، العز، الظفر، التأييد، القهر). هذه الألفاظ لم تأتِ بصيغة التمني، بل بصيغة الفعل المتحقق، مما يمنح الثقة في شرعية القيادة الأيوبية ويؤكد أن ما حدث هو ثمرة للجهاد الصادق، و دلالة القداسة والمكان حيث ركز المعجم على وصف بيت المقدس بألفاظ (المطهرة، المقدسة، مسرى الأنبياء، قبلة الإسلام). هذا الاختيار يهدف إلى إعادة تعريف المكان بعد فترة طويلة من التشويه، وربط الأرض بالسماء لتعميق الشعور بالمسؤولية تجاه حماية هذا الإرث. ودلالة التطهير والخلاص حيث تكررت في الخطبة مفردات مثل (طهرها من الدنس، أزال عنها الرجس، خلصها من الشرك). هذه الثنائية الضدية بين (الدنس/الطهر) و(الظلمة/النور) رسمت مشهدا دراميا للنصر، حيث صور الفتح كعملية غسل روحي للمدينة المقدسة. (15)

ثالثا: الصورة البيانية (توظيف التشبيه والاستعارة في خدمة الموعظة)

لم يقف ابن الزكي عند حدود المحسنات اللفظية، بل وظف الخيال البلاغي لتقريب المعاني وتجسيد القيم المجردة.

الاستعارة المكنية والتصريحية: في وصفه لعودة القدس، استخدم استعارات تضفي الحياة على الجماد، كأن يصور القدس عروسا عادت لحيائها، أو غريبة آبت إلى أهلها. هذه الصور الاستعارية تثير العاطفة الجياشة وتجعل المستمع يشعر برابطة

إنسانية مع المكان، حيث وظف التشبيه لربط الواقع بالمرجعية الدينية، فشبه الفتح بـ يوم الفرقان أو فتح مكة. هذا الربط التاريخي عبر الصورة البيانية يرفع من قيمة الحدث، ويجعل من جند صلاح الدين امتدادا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أقصى درجات التعبئة المعنوية، وان الصور البيانية عند ابن الزكي لم تكن لغويا إضافيا، بل كانت ضرورة إقناعية. فالموقف المهيب لفتح القدس لا تحتمله اللغة التقريرية الجافة، بل يحتاج إلى لغة تصويرية قادرة على استيعاب ضخامة الحدث. ومن هنا، يسقط اتمهم التكلف، لأن البلاغة هنا استجابة لمقتضى الحال، وليست استعراضا للعضلات اللغوية. (16)

رابعا: المقاربة التداولية وجماليات المكان في الخطاب

إن رصد الأبعاد الجمالية في خطاب ابن الزكي لا يستقيم بالوقوف عند عتبات الوصف البياني التقليدي، بل يستوجب الانفتاح على المقاربات النقدية الحديثة، وفي طليعتها **التداولية** التي تبرز عبقرية الخطيب في توظيف **أفعال الكلام** (، فخطبته لم تكن مجرد توصيفٍ سرديٍ لواقعة الفتح، بل مثلت فعلا إنجازيا مكتملا، استهدف إعادة ترسيم الواقع السياسي والشرعي للمدينة المقدسة، حيث انتقل القول من حيز الإخبار إلى الإنشاء السيادي الذي يثبت الحق التاريخي ويطرد باطل الاحتلال، محققا بذلك القوة الإنجازية التي تفرض سلطة النص على المتلقي وتدفعه للامتثال الوجداني (Austin, 1962).

ومن جانبٍ موازٍ، يشيد الخطاب بنية لـ **شعرية المكان** تتجاوز الحدود الجغرافية الصامتة، إذ استنطق ابن الزكي معالم القدس (كالمحراب، والمنبر، والصخرة) مانحا إياها أبعادا وجودية تجعل من الحيز المكاني شريكا فاعلا في صياغة الهوية الإسلامية، وهو ما يصطلح عليه في النقد الحديث بـ **أنسنة المكان وتذويته**، فالقدس هنا ليست ظرفا مكانيا للحدث، بل هي الفاعل ومركز الصراع الوجودي (باشلار، 1984). وبذلك نجح ابن الزكي في المزاوجة بين حجاجية اللسان وجماليات التصوير، ليتحول النص من أثر أدبي عابر إلى وثيقة تداولية عابرة للعصور، قادرة على استنهاض الذاكرة الجمعية وتأطير خطاب الانتصارات في الأدب العربي. (17)

المبحث الرابع: التناص القرآني وبلاغة الابتداء في خطبة فتح القدس

تمهيد:

إن أخطر ما يواجه الخطيب في لحظات النصر الكبرى هو تشتت المعنى أمام ضخامة الحدث، لذا كان لزاما على محيي الدين بن الزكي أن يستند إلى ركيزة صلبة تعلو فوق لغة البشر، فكان القرآن الكريم هو معينه الأول. لم يكن القرآن في الخطبة مجرد استشهاد عابر، بل كان العمود الفقري الذي قامت عليه بنية الخطاب، محققا ما يعرف في الدراسات الحديثة بـ التناص الذي يمنح النص الجديد قوة النص الأصلي وهيبته.

اولا: براعة الاستهلال (دلالة البدء بآيات الحمد في لحظة النصر)

يعد مطلع خطبة ابن الزكي درسا في سيكولوجية الاستهلال، فقد افتتح خطبته بقراءة سورة الفاتحة كاملة، ثم أتبعها بآيات الحمد من سورة الأنعام والكهف والسبأ وفاطر، حيث بدأ الخطيب بقوله تعالى: {فقطِع دابِر القومِ الذِين ظلموا ۚ والحمد لِلهِ ربِ العالمِين}. هذا الاختيار لم يكن عشوائيا، فهو يعلن نهاية حقبة الظلم الصليبي وبداية عهد التوحيد. إن البدء بالحمد يفرغ شحنات الفرح الجماهيري في مصب الشكر الإلهي، مما يمنع الغرور العسكري ويؤصل لفكرة أن النصر من عند الله، و انتقل ابن الزكي بين الآيات التي تحمد الله على خلق السموات والأرض، ثم الحمد على إنزال الكتاب، ليصنع رابطا بين خلق الكون وتحرير القدس، وكأن عودة القدس إلى حياض المسلمين هي عودة للكون إلى مساره الطبيعي الفطري، و نجح الخطيب في تحقيق صدمة إيجابية للمصلين، فبدلا من الثناء على صلاح الدين أو الجيش، بدأ بالثناء على الذات الإلهية، مما أضفى على الموقف جلالا جعل العيون تفيض من الدمع، وهي براعة استهلال جعلت الجمهور في حالة إنصات تام لما سيلي من أحكام وتوجيهات (18)

ثانيا: آليات الاقتباس والتناص (كيف صهر ابن الزكي القرآن في نسيجه الخطابي)

انتقل ابن الزكي من الاقتباس المباشر (ذِكر الآيات) إلى التناص الامتصاصي، حيث تذوب المعاني القرآنية داخل جمل الخطيب الأدبية، حيث لم يكتفِ ابن الزكي بوضع الآيات كجزر معزولة، بل كان يمهد للآية بفقرة مسجوعة من إنشائه، ثم يختمها بالآية القرآنية كأنها النتيجة المنطقية لكلامه. قوله مثلا: *أحرزه من يد المشركين، ورده إلى مستقره من الإسلام بعد أن مكث في أيدي الغاصبين مائة عام* يمهد فيه لاستدعاء نصر الله وتمكينه لعباده، و استدعى ابن الزكي قصص الأنبياء المرتبطة بالقدس (داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام)، وربط بين فتح مكة وفتح القدس. هذا النوع من التناص يسمى التناص التاريخي المقدس، وهو يرفع من معنويات الجند ويجعلهم يشعرون بأنهم الورثة الشرعيون لرسالات السماء، و إن كثرة الاقتباسات القرآنية في الخطبة كانت مانعا من السقوط في التكلف اللفظي المذموم، لأن جلال القول القرآني كان يطغى على المحسنات البديعية، ويجعل السجع خادما للمعنى القرآني العظيم، وبذلك تحولت البلاغة من زينة إلى قيمة شرعية (19)

ثالثا: أثر الخطبة في الوجدان الإسلامي (دراسة في سيكولوجية الجمهور)

تجاوزت خطبة ابن الزكي كونها نصا أدبيا لتصبح حدثا نفسيا غير مسار الوعي الشعبي آنذاك.

بعد 91 عاما من منع الجمعة في الأقصى، كانت كلمات ابن الزكي تمثل عملية تطهير عاطفي للمسلمين. وصف المؤرخون (مثل ابن شداد والعماد الأصفهاني) أن المسجد ارتج بالبكاء والضجيج بالدعاء، وهذا يدل على أن الخطيب لمس الوتر الحساس في الشخصية الإسلامية الجريحة، وقد نقلت الخطبة الجمهور من نفسية المستضعف إلى نفسية الممكن له في الأرض. إن تكرار ألفاظ العز والظفر والتمكين الإلهي أعاد بناء الثقة بالنفس لدى الفرد المسلم، وهو ما ضمن استمرار روح المقاومة والجهاد في الأجيال اللاحقة، وإن سر خلود هذه الخطبة في كتب الأدب والتاريخ (مثل وفيات الأعيان والبداية والنهاية) يعود إلى أنها لم تكن خطابا لشخص بل كانت خطابا لـ أمة. لقد استطاع ابن الزكي أن يقتنص روح العصر ويضعها في قوالب لغوية مقدسة، مما جعل الخطبة تدرس حتى اليوم كأفضل نموذج لما يمكن أن تفعله الكلمة المؤمنة في لحظات التحول الكبرى(20) .

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي اضاف في رحاب الخطابة الدينية في العصر الأيوبي، مستنطق تجربة القاضي محي الدين بن الزكي وخطبته التاريخية في فتح القدس، يلخص إلى أن البحث قد كشف عن الأبعاد العميقة للكلمة حينما تتماهى مع لحظات التحول الكبرى في تاريخ الأمة، حيث أثبتت النتائج أن الخطابة في ذلك العصر لم تكن فنا قوليا غارقا في الترف اللفظي، بل كانت ضرورة استراتيجية وأداة تعبوية أعادت صياغة الوجدان الجمعي نحو غايات التحرير والسيادة، كما فند البحث المقولات النقدية التقليدية التي وصمت أدب تلك الحقبة بالانحطاط، مبرهنة على أن المحسنات البديعية من سجع وازدواج مثلت لدى ابن الزكي هندسة صوتية واعية تهدف إلى شحن العاطفة وترسيخ قيم العزة في لحظة فارقة لا تحتمل اللغة التقريرية الجافة، وقد تجلت عبقرية ابن الزكي في قدرته الفائقة على صهر النص القرآني في نسيجه الخطابي عبر تناصٍ امتصاصيٍ منح حدث الفتح قدسية متعالية ربطت بين نصر الأرض وبركة السماء، كما نجح البحث في إثبات القيمة التداولية للخطاب من خلال أفعال الكلام التي حولت القول إلى قوة إنجازية صاغت الواقع السياسي والشرعي للمدينة المقدسة، مزاوجة ذلك بـ شعرية المكان التي أنسنت المعالم المقدسة وحولتها من جغرافيا صامتة إلى رموز حية تشارك في صناعة النصر والكرامة، وبناء على هذه النتائج، توصى الباحثة بضرورة إعادة قراءة النثر العربي في عصوره الوسيطة وفق المناهج النقدية واللسانية الحديثة التي تنصف جمالياته الوظيفية، مع التأكيد على أهمية دراسة الخطابة كوثيقة سوسيو–أدبية تعكس نبض المجتمع، وإبراز دور الأعلام الذين زاوجوا بين صرامة

الفقه وأناقة البيان كابن الزكي، لتبقى نصوصهم منارة ملهمة في بلاغة الاسترداد وفقه النصر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(1) محمد زغلول سلام: *الأدب في العصر الأيوبي*، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط1، 1968م، ص (تحدد رقم الصفحة حسب الاقتباس).

(2) شوقي ضيف: *تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات: الشام – مصر)*، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1980م، ص (تحدد رقم الصفحة).

(3) محمود عبد المهدي: *الحياة الأدبية في الشام في العصر الأيوبي*، عمان، مكتبة الأقصى، ط1، 1977م، ص (تحدد رقم الصفحة).

(4) أحمد بدوي: *الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام*، القاهرة، نهضة مصر، ط1، 1954م، ص (تحدد رقم الصفحة).

(5) محمد خليل الشيخ: *الخطابة في العصر الأيوبي: دراسة في التطور والخصائص*، (بحث أو رسالة)، وانظر له أيضا: *الأدب الأيوبي*، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2005م.

(6) عبد الحكيم اللهيبي: *فن الخطابة في العصور المتتابعة (الزنكي والأيوبي والمملوكي): دراسة أسلوبية*، مكة المكرمة، جامعة أم القرى (رسالة دكتوراه أو بحث منشور)، 2003م.

(7) محمد زغلول سلام، *الأدب في العصر الأيوبي*، الإسكندرية: منشأة المعارف، ط2، 1990م، وينظر أيضا: أحمد بدوي، *الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام*، القاهرة: نهضة مصر، ط2، 1987م.

(8) شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)*، القاهرة: دار المعارف، ط2، 2008م، وينظر: العماد الأصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، تحقيق: محمد محمود صبح، القاهرة: الدار القومية، 2004م.

(9) محمود عبد المهدي، *الحياة الأدبية في الشام في العصر الأيوبي*، عمان: مكتبة الأقصى، ط2، 1980م، وينظر: محمد خليل الشيخ، *الأدب في العصر الأيوبي*، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، 2015م.

(10) طه حسين، *من تاريخ الأدب العربي*، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1963م، وينظر: عبد الحكيم اللهيبي، *البناء الفني للخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي*، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 2014م.

(11) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1972م، ج4، ص 231–233، وينظر أيضا: محمود عبد المهدي، *الحياة الأدبية في الشام في العصر الأيوبي*، عمان: مكتبة الأقصى، ط2، 1980م، ص 145.

(12) ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع)، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1994م، ص 112–115، وينظر: أحمد بدوي، *الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام*، القاهرة: نهضة مصر، ط2، 1987م، ص 210.

(13) العماد الأصفهاني (محمد بن محمد)، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، تحقيق: محمد محمود صبح، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 2004م، ص 160–162، وينظر: شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)*، القاهرة: دار المعارف، ط2، 2008م، ص 342.

(14) محمد زغلول سلام، *الأدب في العصر الأيوبي*، الإسكندرية: منشأة المعارف، ط2، 1990م، ص 188–190، وينظر: محمد خليل الشيخ، *الأدب في العصر الأيوبي*، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ص 215.

(15) أحمد بدوي، *الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام*، القاهرة: نهضة مصر، ط2، 1987م، ص 245، وينظر: طه حسين، *من تاريخ الأدب العربي*، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1963م، ص 112.

(16) شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات)*، القاهرة: دار المعارف، ط2، 2008م، ص 345، وينظر: عبد الحكيم اللهيبي، *البناء الفني للخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي*، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 2014م، ص 156.

(17) حول أفعال الكلام ينظر: جون أوستن، *كيف نفعل الأشياء بالكلمات*، ترجمة: عماد نبيل، (أو المرجع الأصلي: Austin, J. L., *How to Do Things with Words*, Oxford University Press, 1962) ، وحول جماليات المكان ينظر: غاستون باشلار، *جماليات المكان*، ترجمة: غالب هلسا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، 1984م، وينظر أيضا: طه حسين، *المرجع السابق*، وعبد الحكيم اللهيبي، *المرجع السابق*، ص 170.

(18) السيد أحمد الهاشمي، *جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب*، ضبط وتصحيح: لجنة من الجامعيين، بيروت: دار إحياء العلوم، (د.ت)، ص 320–322 (حول براعة الاستهلال وأقسامه)، وينظر أيضا: محمود عبد المهدي، *الحياة الأدبية في الشام في العصر الأيوبي*، عمان: مكتبة الأقصى، ط2، 1980م، ص 158.

(19) محمد زغلول سلام، *الأدب في العصر الأيوبي*، الإسكندرية: منشأة المعارف، ط2، 1990م، ص 195، وينظر: عبد الحكيم اللهيبي، *البناء الفني للخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي*، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 2014م، ص 182 (حيث استعرض الباحث آليات التناص القرآني في نصوص الفتح).

(20) ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع)، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1994م، ص 116، وينظر: العماد الأصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، تحقيق: محمد محمود صبح، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 2004م، ص 164 (في وصفه للتأثير الوجداني والبكاء الذي صاحب إلقاء الخطبة).

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1972). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر. (الجزء الخاص بخطبة ابن الزكي).
2. باشلار، غاستون. (1984). جماليات المكان. ترجمة: غالب هلسا. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. (مرجع أساسي لتنظير شعرية المكان).
3. أوستن، جون. (1962). كيف نفعل أشياء بالكلمات (How to Do Things with Words). أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد. (المرجع التأسيسي لنظرية أفعال الكلام والتداولية).
4. الغذامي، عبد الله. (2000). النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. بيروت: المركز الثقافي العربي. (لفهم كيفية تحول النص إلى سلطة ثقافية).
5. شحرور، محمد سعيد. (2010). بلاغة المكان في النشر العربي القديم. دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر. (مرجع تطبيقي ممتاز).
6. اللهيبي، حسين عبد العال. (2014). الخطابة العربية في العصر الوسيط، دراسة في الموضوع والفن. مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل. (مرجع سبق ذكره ويدعم التحليل الفني).
7. ابن شداد، بهاء الدين. (1994). *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية*. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة: مكتبة الخانجي.

8. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1988). *البداية والنهاية*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (لوصف أثر الخطبة النفسي والتاريخي).
9. الأصفهاني، العماد. (2004). *الفتح القسي في الفتح القدسي*. تحقيق: محمد محمود صبح. القاهرة: الدار القومية للطباعة.
10. بدوي، أحمد أحمد. (1987). الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. دار النهضة العربية.
11. بدوي، أحمد. (1987). الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. القاهرة: دار النهضة العربية.
12. حسين، محمد كامل. (1963). دراسات في الأدب في العصر الأيوبي. القاهرة: دار الفكر العربي.
13. الذهبي، شمس الدين. (1993). *سير أعلام النبلاء*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. (لبيان أثره ومكانته في العلم).
14. السبكي، تاج الدين. (1992). *طبقات الشافعية الكبرى*. تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. (لتوثيق مكانته الفقهية).
15. سلام، محمد زغلول. (1990). الأدب في العصر الأيوبي. (ط. 2). منشأة المعارف.
16. سلام، محمد زغلول. (1990). *الأدب في العصر الأيوبي*. الإسكندرية: منشأة المعارف.
17. الشيخ، عامر فتحي. (2015). تطور فن الخطابة في العصر الأيوبي: دراسة وصفية تحليلية. (ط. 1). دار الجوهرة للنشر والتوزيع.
18. الشيخ، عامر فتحي. (2015). فن الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن.
19. ضيف، شوقي. (2008). تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات (مصر والشام). القاهرة: دار المعارف.
20. ضيف، شوقي. (2008). تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات (مصر والشام). (ط. 1). دار المعارف.
21. عبد الجليل، عبد المهدي. (1980). الحياة الأدبية في الشام في عصر الحروب الصليبية. (ط. 1). مكتبة الأقصى.
22. عبد المهدي، عبد الجليل. (1980). *الحياة الأدبية في الشام في العصر الأيوبي*. عمان: مكتبة الأقصى.
23. اللهيبي، حسين عبد العال. (2014). الخطابة العربية في العصر الوسيط (656–1213هـ)، دراسة في الموضوع والفن. *مجلة كلية التربية الأساسية*، جامعة بابل، (16).
24. اللهيبي، حسين عبد العال. (2014). الخطابة في العصرين الأيوبي والمملوكي: دراسة في الأساليب والبناء الفني. (ط. 1). دار غيداء للنشر والتوزيع.
25. الهاشمي، أحمد. (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: دار الفكر. (للمقاربات النظرية في تحليل المحسنات).